مقدمة

يعكس الأدب والفن عامة علاقة نوعية بين الإنسان وعالمه ولهذه العلاقة قوانينها الخاصة التي تميزها عن غيرها من العلاقات الفكرية والعلمية ويرجع مصدر كل هذه العلاقات وتميزها من كافة وجوه النشاط الإنساني وظواهره إلى النشاط العملي للبشر ، وذلك أن العمل المنتج المهدف بغايات الإنسان هو الجوهر الأساس لهذا الإنسان ، لأن الإنسان كائن عامل منتج وعمله الواعي الهادف هو حقيقته.[1]

والعمل عملية اجتماعية الأساس فيها علاقة البشر بعضهم ببعض في مواجهة الطبيعة إذ ينشأ بين الناس وهم ينتجون عيشهم علاقات إنتاج تمثل النظام الاقتصادي للمجتمع ، ومقومه المادي وبناءه الأساسي الذي ينهض عليه، ويعبر عنه ، ويعكس حقائقه وعلاقاته بناء ثقافي .

والثقافة كمصطلح اجتماعي علمي بناء يعبر عن المجتمع تتبدى صوره في الفن والأدب والفكر السياسي والتربوي،والصيغات الفلسفية، والعلمية والقانونية ، والعادات والأعراف ، والمثل العليا، والقيم المفسرة للسلوك العلمي في هذا المجتمع.[2]

والأدب فرع من فروع الثقافة ، وهو نشاط إنساني له خصائصه من حيث عملية الإبداع ، فأداته هي اللغة ، وهي أعظم أدوات الإنسان في تعامله مع عالمه في السيطرة عليه ، فاللغة تختزن سياقا تاريخيا واجتماعيا أكثر من أي أداة فنية أخرى ، والفكر الأدبي وجه من وجوه الفلسفة العامة السائدة

1. عبد المنعم تليمة : مقدمة في نظرية الأدب ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، كتابات نقدية ، العدد (67) القاهرة ، سبتمبر1997ص7.
2. نفس المرجع : ص8.

في المجتمع ، هو جزء من الروح العام في المجتمع ، وعنصر من عناصر البناء الثقافي في هذا المجتمع؛ والأدب رافد مهم من روافد التربية في المجتمع وهو الباعث على التغيير وإحداث الثورات لصالح المجموع ، وعندما نذكر الثورة الفرنسية يتبادر إلى الذهن أعلام مهدوا بكتاباتهم لهذه الثورة مثل فولتير ، وجان جاك روسو ، وغيرهم ، وكما يلعب الأدب دورا مهما في توصيل قيم المجتمع الحق للأفراد تمثل التربية أيضا تلك الأداة ، لذلك اعتبر اليونانيون الشعراء والمشرعين ضمن المربين فقد نقل الشعراء القيم العظيمة التي اتصفت بها العصور القديمة وذلك بتعينهم للأبطال القدوة ، ولذكرهم القوانين الخاصة بالحكمة في التعامل ، فهذا الطابع التعليمي هو الموجه للشعب بتوسيع مداركه السياسية والأخلاقية والدينية .

والتربية قديمة قدم الحياة في تكوين الإنسان وتربيته بأن يوسع حساسيته ويزيده تعاطفا مع الآخرين ، ويولد به قدرة أكثر تنظيما وتناغما على معالجة أمور حياته .

وتمثل تجربة الشاعر العربي الكبير محمد عفيفي مطر قيما تربوية كبرى في حياتنا المعاصرة لا تقتصر على دوره الكبير في ديوان الشعر العربي المعاصر تحديثا وتطويرا وريادة فحسب ، وإنما تتسع لتنتظم مجموعة من القيم الجوهرية الفارقة الأخرى ، والتي لا تقل عن دوره الشعري اللافت ، تلك القسمات والمعالم المتميزة جدا والخاصة بتجربة الشاعر محمد عفيفي مطر لها مردود قيمي على المجتمع تمثل آفاقا تربوية بامتداد حياتنا المعاصرة امتدت لتشمل البنى السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، كما حوت مباحث الفلسفة الثلاثة الوجود والمعرفة والقيم ، فضلا عن أهمية دوره الشعري المربي ؛ وتمثل التجربة الشعرية لمحمد عفيفي مطر أهمية كبرى لما تحتويه من تجسيد لأحلام الأمة وأشواقها المستقبلية ، وتوقها للنهوض، هذا بالإضافة إلى بروز الطابع

الفلسفي والبعد الصوفي في شعره واستناده الشامل على التراث العربي الإسلامي ، وتسجيله الشعري لطقوس الزراعة وشعائر الفلاحة في القرية المصرية ، كما تحمل تجربته الشعرية القدرة على تثوير الواقع بما تحتويه من رؤية تربوية شاملة ومتكاملة ، تشمل تأسيسا للعقد الاجتماعي على حرية أوسع وأعمق ، وتنشئة لأجيال لها قدرة مواجهة التحديات والفعل المستقبلي والوعي بأهمية أن يكون العرب أمة واحدة ، وأهمية أن تكون التربية تربية لتطوير وتثوير الجماع الفذ لخبرة الجماعة في التاريخ واللغة ، والفعل المجسد لروحها والشاحذ لهمتها ، والمبلور لخصوصية دورها الحضاري ، والمقيل لعثرتها الآنية وانتكاسها الراهن.

الدكتور

إبراهيم حسن حسين

obeikandl.com